

قصائد:

يحيى عاشور

yahyaashour98@gmail.com

رماديُّ من بلدِ رماد

أذهبُ إلى البحرِ وَحدي
رماديُّ من بلدِ رماد،
لا ياسمينَ في جيبي
أهديه للشاطئ.

أذهبُ من أجلِ سينما سماويّة،
من أجلِ صلاةٍ مُوجَّلةٍ،
من أجلِ طفولةٍ لا زالت ضائعة.

أذهبُ لأبحث عمّن يذهبونَ إلى البحرِ وَحدهم...

لكني أتجمدُ على الكرسيِّ هناك،
لا أجرؤُ على المشي جنباً لجنب
مع كلِّ هذه الأمواج.

أتجمدُ على الكرسيِّ هناك،
لا شيءَ آخرَ يُمكن أن يفعله رماديُّ مثلي
أمام كلِّ هذه الزُّرقة.

معهم يستيقظُ البحر

أجلسُ على الشاطئ

أَتَأْمَلُ بَائِعَ الْبَطَاطَا الْحُلُوةِ
 وَبَائِعَ شَعْرِ الْبَنَاتِ وَعَنْبِرِ التَّفَاحِ،
 بَائِعَ بَرَادِ اللَّيْمُونِ وَبَائِعَ الْمَكْسَرَاتِ،
 بَائِعَ أَلْعَابِ الْبَحْرِ وَعَرِبْتَهُ الْمَلُونَةَ،
 أَتَأْمَلُ الْخَيْلَ وَالْجَمَالَ وَمَنْ فَوْقَهَا الْأَطْفَالَ،
 أَنْتَظِرُهُمْ لِيَمْرُوا أَمَامِي
 مِنْ أَجْلِ صُورَةٍ عَلَى الْأَقْلَى.

هُؤَلَاءِ هُمْ أَصْحَابُ الْبَحْرِ،
 الشَّاطِئِ سَوْفُهُمْ،
 مَعَهُمْ يَسْتَيْقِظُ الْبَحْرُ
 وَمِنْ بَعْدِهِمْ يَنَامُ.

مَعَ الْغُرُوبِ،
 كَلَّمَا أَدْنَيْتُ مَحَارَةً مِنْ أُذُنِي
 أَسْمَعُ دَمْعَهُمْ يُلَاظِمُ الْمَوْجَ!

بَيْنَنَا كَلَامٌ كَثِيرٌ

الَّذِي أَتَى بِكَ إِلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ
 هُوَ ذَاتَهُ الَّذِي أَتَى بِي،
 يَا سَفِينَةَ الصَّحْرَاءِ.

أنا مِثْلُكَ
 لا أُصدِّقُ ما يرونه من اعوجاجي.
 أنا مِثْلُكَ،
 لكنْ - يا حسرتي -
 ليسَ لي خُفين.

ارْقُدْ بجانبِ أيُّها الجَمَلُ،
 بيننا كلامٌ كثير.
 أنا أيضاً لا يهمني الموجُ،
 أرى البحرَ كلَّه سطوراً بيضاء!
 ارقُدْ بجانبِ...

أتعبُ مع الشمس

عملٌ شاقٌّ أنْ أصلَ البحرَ
 بحثاً عن الظلال،
 عملٌ شاقٌّ أنْ أُغادرَه
 هرباً من الغروب.

كُلَّ يومٍ أتعبُ مع الشمس،
 أيُّها البحرُ
 وما تعبَت يوماً أمواجك.

لن أدخل المشهد

أنتيك من الضوضاء والفوضى:

هوأوك

هو الصوت الوحيد الذي أودُّ سماعه،

موجك

هو الشكل الوحيد الذي أريد أن أراه.

لكي لن أسبح فيك،

أو حتى أحلق فوقك.

سأبقى على الشاطئ

لأني أخاف كل الحزن وكل الفرح

سأكتفي بالشمس.

أمواجك داخلي أيها البحر،

عصية على الفهم، عصية على النسيان.

فجأة أتذكر ياسي

أين كنت يا سماء

وبيوتنا تُقصف؟

أين كنت يا بحر

ونحن نتفحم؟

بضعُ دمعَاتٍ فقط

لطالما تمنّيتُ لو عانقتني السماء،
لو مسحَ دمعيَ البحرُ،
غير أني كلّما أمطرتِ الغيومُ احترقتُ،
وكّلما تحرّكَ الموجُ احترقتُ.

في الوقتِ الخطأ،
بضعُ دمعَاتٍ فقط
تُشعلُ كلَّ شيءٍ.

تتركني من بعدها
أحترقُ في غريقي،
أحترقُ في سقوطني.

قوارب مكشوفة

لستُ أكثر من خيمة على الشاطئ،
والناسُ في عَرْضِ البحرِ
قواربُ مكشوفة.

أجدّف في ذاتي الحالكة
مبتعداً عن الزمن،
لا أبحثُ عن مرسى

ولا حتى يهمني طوق النجاة.

لست سوى سمكةٍ ميتة.

أدركُ حجم الكارثة

عادةً ما يكونُ هناك أطفالٌ على الشاطئ
يستحمّون بالرمل والماء،
ينسى الكلُّ أنّ شاطئنا لا يصلحُ لأشياء كهذه.
وحدي أتذكّر ملح الحروب،
وأدركُ حجم الكارثة.

كلّ مرّةٍ أجدني أفتشُ عن أطفال عائلة بكر،
لم أجدهم يركضون في شوارع المدينة.

على شاطئ بحر غزة
وحدهم ما زالوا يركضون في تلك الصورة!

سنتركُ البحرَ وحدَه

فقط عندما أكونُ على الشاطئ،
أتذكّرُ الغيوم في السماء.

بعضها سبقني إلى هناك،
 بعضها وصلَ معي،
 وكُنَّا بعد حينٍ
 سنتركُ البحرَ
 وحده
 يُمجدُ ذكراه.

هذا السجن

كلُّما اعتقدتُ أنّي لن أتمكنَ مُطلقاً
 من التحرُّرِ من هذا السجن
 جاءَ سجانٌ أضخم
 ووضعني في سجنٍ جديد
 أضيق!

أستمعُ بالمطر

كيفَ لم أنتبه من قبل
 أنّهُ عليّ أن أستمعَ بالمطر
 يتساقطُ عليّ
 ويتساقطُ حولي
 بدلاً من أن أفكّر كيفَ أجمعُ أكبرَ قدرٍ منه
 في وعاءٍ واحدٍ لي وحدي؟

كُلّ الأبواب

إيمانٌ عذبٌ يُخبرني
أن أحلامي التي ولدتُ قربَ النافذة
ستفتحُ يوماً ما لي
كُلّ الأبواب!

كي آكل البطيخ

لا تُلّوحوا لي بأيديكم من الشاطئ
كي آكل البطيخ.
أنا موجٌ،
عند الشاطئِ أنتهي.

من غيمة،
يوماً ما سأرافقُ الشمسَ
وهي تنزلُ سلّمَ السماء
لتنامَ في البحر.

لستُ إلاّ

I

لستُ مُجَرَّدَ كابوسٍ مُتَأخِّرٍ
يغرقُ في كوبِ ماءٍ.

II

لستُ من أشرارِ هذا العالمِ.
أنا أجملُ قُصاصةٍ،
أو في أسوأ الأحوال أرحمُ مقصٍ.

III

لستُ إلاّ حارساً طيباً
لذكرياتٍ متوحشةٍ.

حفلة

I

صرختُ:

ابتعدوا عني جميعاً!
ثم بقلبي جنازةً همستُ:
بل اقتربوا مني أكثر...

II

رجوتك:

لا تُشعل هذي السجائر في روحك!

دعني مرّة أكون

سيجارتك...

III

أنا غنيتُ لكِ

الأغنية التي رسمناها معاً

وحين جاء دوركِ

صعدتِ بيروِدٍ على قلبي

وغنيتها للكل...

اللعنة!

مضى وقتٌ طويلٌ حتّى اقتنعتُ

أنّك لستَ ما يجبُ أنْ أبحثَ عنه

ولكنّ ما لم أفهمه

هو كيف أنّه كان على كل ذلك الوقت

أن يمضي

لتقتنع أنّي ما يجبُ أنْ تبحثَ عنه!

نصف العالم

حين أدركتُ أنّي أمامَ مرآةٍ بكيّتُ
 كأني نصف العالم،
 وكانَ نصفه الآخر مُلتفتٌ إليّ.

شخصٌ واحد

صدّقوني...

شخصٌ واحدٌ كانَ كافياً
 ليُدفعني إلى الحافة

لِمَ أرادَ الكلُّ أن يُشاركَ في هذا؟!!

كُون

أبي الشمس
 يُريدني أن أكونَ غيمة.

أمّي القمر
 تُريدني أن أكونَ نجمة.

أَمَّا أَنَا أُرِيدُ أَنْ أَكُونَ عُصْفُورًا
- أَوْ فِي أَسْوَأِ الْأَحْوَالِ -
سَمَكَةً.

الطريقة الأمثل لإهداء الورد

لَمْ يَكُنْ أَبِي يُهْدِي أُمِّي بَاقَةَ وَرْدٍ،
كَانَ يُهْدِيهَا شَتْلَةً وَرْدٍ.

توثيق الألم

كَيْفَ أَكْتُبُكَ أَيُّهَا الْأَلَمُ
وَصَرَخَاتُكَ لَا تَنْتَمِي إِلَى أَيِّ لُغَةٍ؟
كَيْفَ أَلْتَقِطُ لَكَ صُورَةً وَاضِحَةً
وَأَنْتِ، عَنِ الْحَرَكَةِ، لَا تَتَوَقَّفُ؟

دعوهم

دَعُوهُمْ يَلْعَبُونَ بِالْكُرَةِ
دُونَ أَنْ تَكُونَ الصَّوَارِيخُ صَافِرَةَ النِّهَايَةِ
لَا نِهَائِيَّةَ الْحَيَاةِ
وَلَا حَتَّى فَقَطْ نِهَائِيَّةَ الْمُبَارَاةِ!

لَمْ أَعِدْ أَفْهَمُ الْحَرَكَةَ

لَمْ يَبْقَ لَدَيَّ بُقْعَةٌ وَاحِدَةٌ مِنْ نَوْرٍ،
فَكَيْفَ إِذَنْ لَا زِلْتُمْ تَتَّبِعُونَنِي؟
أَنَا لَمْ أَعِدْ أَفْهَمُ الْحَرَكَةَ،
وَكُلُّ مَا أَرْجُوهُ مِنْكُمْ
أَنْ تَجْرُونِي خَلْفَكُمْ.

قِطَارِي تَجَمَّدَ آخِرَ النَّفْقِ
أَمَامَ كُلِّ مَا رَأَيْتُ مِنْ نَوْرٍ...

أَوَّلُ شَيْءٍ أُدْرِكُهُ

أَنْ تُحَاوَلَ النَّهْوُضَ مِنَ النَّوْمِ
وَأَنْتَ لَا تَمْتَلِكُ حُلْمًا وَاحِدًا لِتَحَقِّقَهُ
يُشْبِهُ أَنْ تُفَكِّرَ فِي الْإِنْتِحَارِ
وَأَنْتَ عَلَى فِعْلِ ذَلِكَ
لَا تَجْرُو

وَأَنَا كَلَّمَا اسْتَيْقِظْتُ
كَمْ أَكْرَهُ أَنْ يَكُونَ أَوَّلُ شَيْءٍ أُدْرِكُهُ
أَنِّي اسْتَيْقِظْتُ!

توازٍ

حُزْنُكَ فَتَّتَ السَّمَاءَ.
هي أيضاً ما أمطرت!

أعرفُ هذا منذ زمن

أنت نافذة،
هُم غيوم.

لكنك أحياناً تُريدُ
أن يكون الكل نوافذ مفتوحة لك
وتبقى أنت غيمةً بعيدةً عنهم.

أكثر شيءٍ يجعلني أتذكر

تمضي يومها وهي تفتح الأبواب،
أمضيه وأنا أغلقها.
تمضي ليلها وهي تطفئ المصابيح،
أمضيه وأنا أضيئها.

تمضي وقتها متنقلةً بين العُرف،
أمضيه مُتفوقاً في غرفتي.

أظنُّه سيعود، تحاولُ أن تقول.
أظنُّ الموتَ سيعود، أحاولُ أن أقول.
لكنَّ الألمَ وحده
ما يعود.

بذكرياته، لكنْ بدونه:
أُمي صارتُ بلا قدمين،
وأنا صرتُ بلا ذراعين؛
نبحثُ الفقد.

كيفَ أخبرها
أنَّ أكثرَ شيءٍ يجعلُها تنسى
هو أكثرَ شيءٍ يجعلُني أتذكَّر؟!!

أُغادرُ السرير

صباحاً،
أنا الحيُّ الوحيد في غرفتي،
لا نورَ يدخلُ أيُّ منا.
البابُ أبعدُ من السماء
مفتوحٌ كأنه نافذة،

عظامي حجارةً ثقيلة
لا أحد يُفكّر في رميها في بحيرة
الحياة
على يميني مهماتٌ ومهمات
لم تسمع من قبل بالانتحار،
على يساري حائطٌ
لم يُغيّر مكانه بعد
لا علم لي ما خلفه
ضبابٌ أم ندى.
ما عادَ القلقُ يُنقذني.
الشوارعُ مسجونَةٌ داخلَ المدينة،
الغُرفُ مسجونَةٌ داخلَ البيت،
وكل الأحرانِ مسجونَةٌ داخلَ رأسي.
لا مكانَ أهربُ إليه غير النوم،
لذا اليومُ أيضاً
لنُ أغادرَ السرير.